

أسلحة التعليم الشامل

عرض: جورج ليف

مجلة فريمان

عدد أكتوبر 2010

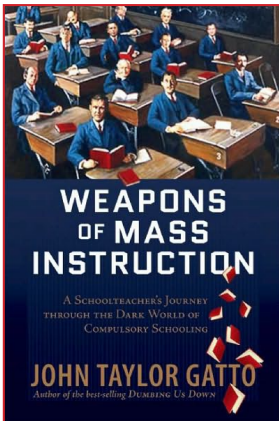
Weapons of Mass Instruction
Reviewed By George C. Leef
The Freeman Magazine

ترجمة: علي الحارس (alharis.a@gmail.com)

- مدير قسم البحوث في مركز جون ويليام بوب لسياسات التعليم العالي.
- نائب رئيس مركز جون لوك فاونديشين (سابقاً).
- شهادة دكتور في القانون (JD)، جامعة دوك.

جورج ليف

الكتاب: أسلحة التعليم الشامل.. رحلة معلّم في العالم المظلم للتعليم الإجباري.



غلاف الكتاب

الكاتب: جون تايلور غاتو.

عدد الصفحات: 240.

الناشر: (New Society Publishers).

تاريخ النشر: 2010.

نبذة عن الكاتب:

- معلّم العام في مدينة نيويورك (1989، 1990، 1991).
- معلّم العام في ولاية نيويورك (1991).
- خاض غمار الكثير من الوظائف والميادين، ومنها: مرشح لمجلس الشيوخ، كاتب سيناريو، مصمم مجوهرات، سائق سيارة أجرة، جندي، تاجر كافيّار، منتج أفلام وثائقية، بائع نقانق، وغيرها.
- استقال من المجال التعليمي بعد ان حصل على لقب معلم العام في ولاية نيويورك (1991) في مقال على صفحات جريدة (وول ستريت جورنال) جاء فيه أنه لم يعد يريد الاستمرار في «كسب عيشه من أذية الأطفال».

أسلحة التعليم الشامل

ذات يوم شاهدت ملصقا مزعجا على ناصية إحدى السيارات. وقد حمل العبارة التالية: «إذا كنت تظن بأن التعليم مكلف.. فجرب الجهل». وكان الهدف من الملصق محاربة معارضي رغبة المؤسسة التعليمية في امتصاص أكثر ما يمكن من أموال دافعي الضرائب. والخديعة خفية هاهنا. وذلك من خلال إيهام الناس بالتساوي ما بين مفهومي (التعليم المدرسي) و(التعليم). فالمفهوم الأول هو الذي تقوم المؤسسة التعليمية على شؤونه. حيث تمتص كميات هائلة من المال لإبقاء الأطفال ضمن بناء يدعى المدرسة. وذلك دون الاهتمام بحصول الطفل على أي تعليم حقيقي.

لقد أدمن معظم الأمريكيين على هذه الخدعة لأن العديد من الأجيال لُقنت بأن الجهل هو بديل التعليم المدرسي كما نعرفه: بصفوفه. ومعلميه. ومناهجه. واختباراته. ودوامه. وفصوله الخ... التي تنظمها الحكومة وتشرف عليها. وهذه الفكرة تساندها حملة دعائية هائلة لا تكل ولا تمل. ولكن: ماذا لو كانت هذه الفكرة خاطئة؟ ماذا لو توافر دليل رسمي يثبت تسبب التعليم المدرسي بتثبيط التعليم لدى الطالب؟ وماذا لو كان التعليم المدرسي يتسبب باستبعاد أنماط أكثر فعالية للتعليم. تماما كما أن الحكومة تميل إلى استبعاد أنماط أكثر فعالية للتطوع الخيري؟

هذا هو بالضبط ما يطرحه جون تايلور غاتو في كتابه المثير للجدل.

لقد لاحظ غاتو في كتابه. عندما كان معلما في مدارس نيويورك قبل عقود. أن التعليم المدرسي الذي ساعد هو في تقديمه كان فاشلا في أحسن حالاته. ومؤذيا للطفل غالبا في حين أنه كان يفترض به أن يخدمه. وما أن ترك مهنة التعليم حتى تحول إلى (شخص غير مرغوب به) عبر التصريح بآرائه حول القطيعة ما بين الأهداف المزعومة للتعليم المدرسي وما بين آثاره الحقيقية.

ويسوق المؤلف حادثة تبين لنا مقدار الغضب الذي تتسبب به طروحاته في صفوف المعلمين: حيث دعي ذات مرة للحديث إلى طلبة إحدى الثانويات في ضاحية موسرة من

أسلحة التعليم الشامل

ضواحي نيويورك (وكان من المخطط أن يتحدث بعد ذلك إلى أهاليهم). وبينما كان مستغرقا في حديثه اللبق الهادئ مع الطلبة فوجئ بمداهمة رجال الشرطة لقاعة الاجتماعات. حيث صرخوا مطالبين من الجميع بالتزام الهدوء (وهو ما كان سائدا قبل حضورهم). وأعلنوا انتهاء الاجتماع وأمروا الحاضرين بالمغادرة الفورية. وكان من الطبيعي أن يصدم غاتو لهذا التصرف وأن يطالب بتفسير لما حدث. وكان الرد بأن مدير المدرسة كان يراقب الاجتماع وقرر بأن أفكار غاتو شديدة الخطورة على التلاميذ. وأن دمارا هائلا سوف يقع لو أخذوا أفكاره على محمل الجد. (وبالطبع. ألغى الاجتماع المقرر مع أولياء الأمور. أيضا).

لحسن الحظ. لا يمكن للمؤسسة التعليمية حتى الآن أن تضطهد نشر الكتب. ولا يزال الناس أحرارا في قراءة الأفكار المعاكسة (حتى الآن على الأقل).

يستغرق جزء من الكتاب في التاريخ. حيث يلاحظ غاتو أن أمريكا في بداية تاريخها كانت متحررة من جنون التعليم المدرسي. ولا شك في أن تلك الفترة شهدت وجود مدارس. ولكن دون فرض ارتيادها على التلاميذ. وكانت الأغلبية الغالبة من الناس تتعلم في المنزل وعن طريق الممارسة. ولنا في بينجامين فرانكلين خير مثال. لقد كانت مصادر المعرفة والمهارات متوفرة في كل مكان. ولم تعامل المدارس باعتبارها مكانا للتعليم. كما إن الكثير من الأعلام الناجحين واللامعين لم يذهبوا إلى المدرسة إطلاقا. وكان الفرد يمتلك ناصية تعليمه الخاص به عوضا عن أن ينتظر أن تصب المعرفة في رأسه دون جهد منه. ويعبر غاتو عن ذلك بقوله:

في العام 1790 كان لا يزال من الممكن للمرء أن يتعلم في أمريكا لأن المدرسة لم تكن تشغل كل وقت الطفل. كما لم تكن حينها طفيليا يمتص حياة العائلة. ولم تفرض عادات تستعبد فترة البلوغ. ولم تقيد العقول الشابة بقيود الكثير من الأفكار المهيأة مسبقا.

أسلحة التعليم الشامل

بدأ هذا الوضع بالتغير في منتصف القرن التاسع عشر على يد نخب اجتماعية متشربة بالإعجاب بنظام وكفاءة ألمانيا. يؤازرها صناعيون تعلموا بأن القوة العاملة المكونة من عمال (ذوي مقاس واحد) أسهل في الإدارة من قوة عاملة تتكون من مزيج من أفراد ذوي أفكار حرة. وهكذا استعويض عن اللامنظومة التقليدية للمعرفة «مفتوحة المصدر» بمنظومة تعليم مدرسي تهدف إلى مجانسة الأطفال كي يفكروا بطريقة صحيحة.

تمخض ذلك عن عواقب مدمرة. حيث يشير غاتو إلى انخفاض المستوى التعليمي بشكل يرثى له (طلبة الثانويات في الأمس يقرؤون بشكل أفضل من خريجي جامعات اليوم). واستمرار عدم النضج لدى الكثير من الشباب الذين يرزحون في حال من الاعتماد الغافل على أهاليهم في مراهقتهم وعشرينياتهم. وهي مرحلة عمرية كانت طيلة قرون مرحلة مليئة بالنشاط والحيوية والاستقلالية. ناهيك عن مشكلة العنف الذي يندلع بين فينة وأخرى في المدارس العامة بسبب ثوران غضب الشباب الذين لا يودون ارتياد المدرسة.

هل يمكن الإفلات من قبضة المؤسسة المدرسية؟ يقترح غاتو ما يدعوه «مشروع بارتليبي». وذلك تيمنا بالشخصية الرئيسية في قصة (بارتليبي الناسخ) للكاتب هيرمان ميلفيل. فبعد سنين وسنين من إطاعته كل ما يؤمر به. بدأ بارتليبي بالقول: «من الأفضل أن لا أقوم بذلك». وهذا ما ينبغي على الأمريكيين قوله بوجه المسؤولين عن التعليم المدرسي.